تقديم

القارئ لهذا الكتاب لابد أن يتوقف - لحظة - أمام عدة أمور قبل أن يمضى قدمًا مع صفحاته وموضوعاته :

أولها : يتعلق بالزمان، فالطبعة الأولى لهذا الكتاب صدرت فى ٣١ أغسطس عام ١٩٥٧، أى قبل أكثر من ربع قرن، بعشر سنوات، وفى إعادة الطبع اليوم ١٩٩٢ - شهادة بأنه مازال يتضمن جديدًا ومفيدًا.

وثانيها : يتصل بأن الكتاب فى طبعته الأولى صدر ضمن سلسلة «كتب سياسية» وهى سلسلة كانت تصدرها الهيئة العامة للاستعلامات بهدف تنوير الرأى العام، وتبصيره بالقضايا العامة الإقليمية والدولية. وفى ذلك انعكاس لإدراك مؤلف الكتاب بالدور العام للأستاذ الجامعى، وبواجبه فى الكتابة للجمهور، وشرح القضايا المتخصصة بأسلوب سهل.

وثالثها : يرتبط بالموضوع، وهو عن تطور فكرة الحكومة العالمية، أو إقامة تنظيم دولى لحفظ السِّلم والأمن فى العالم، ثم عن خبرة الواقع، وأسباب فشل عصبة الأمم، والظروف التى أدت إلى نشأة الأمم المتحدة.

وهذا الكتاب يعكس منهج د. بطرس بطرس غالى فى التأليف والكتابة، كما يعكس اهتماماته العلمية التى ثابر على البحث فيها وسبر أغوارها لأربعين عامًا مستمرة، والتى يجدها القارئ فى عشرات الكتب

التى ألفها، ومئات المقالات والبحوث التى نشرها فى مجلة الأهرام الاقتصادى، ومجلة السياسة الدولية.

ومنهج المؤلف يتسم بالجمع بين الفكر والعمل، وبين النظرية والتطبيق، ففى كل موضوع نجده أولا يعرض للفكرة من الناحية النظرية، ثم يدرس كيف طبقت أو اعتراها التغيير عند التطبيق، وهكذا فإنه يزاوج دومًا بين مثالية الأفكار وجموحها وصعوبات التنفيذ فى الواقع. ويتسم منهجه أيضًا بالطابع التاريخى، ففى كل بحوثه نجده يرجع إلى الماضى بحثًا عن جذور الموضوع وأسبابه، وفى هذا إدراك بأن لكل مشكلة جذورًا وأصولاً، وأن فهمًا عميقًا لها لا يتأتّى دون الإمساك بهذه الجذور وفهم تعقيداتها وتشابكاتها. كما يتسم بالنزعة المقارنة، فهو يقارن بين الأفكار والآراء والخبرات، ويضع كُلًّا منها فى سياقه التاريخى، وفى إطار الظروف التى نشأت فيها، ثم يقيمها فى هذا الإطار. وهو يتسم أيضًا بالتوازن فى التحليل والتقييم، وفى إبراز عناصر القوة والضعف للرأى أو الموضوع الذى يدرسه. وأخيرًا فإن المؤلف هو رجل قانون فى المقام الأول، لذلك فإن منهجه يتسم بطابع قانونى، وبالرجوع إلى القانون وإحكامه.

ونجد كل ملامح هذا المنهج فى هذا الكتاب الذى يتناول «إنشاء الحكومة العالمية، أو المنظمة الدولية التى تبسط سلطانها على الحكومات، وبذلك تكفل للعالم السلام وتوفر الطمأنينة» فى جانبيها: الفكرى الفلسفى، والتطبيقى العملى، فيقوم بدراسة الموضوع من الناحية النظرية فى كتابات عدد من الفلاسفة والمفكرين، ويبدو منهجه التاريخى المقارن فى حرصه على تناول الفكرة - بتعبيراته - فى المدرسة الأوربية، والمدرسة الأنجلوسكسونية، والمدرسة الإسلامية، وخلال هذه المتابعة التاريخية يرصد المؤلف نمو الوعى بضرورة وجود تنظيم دولى، وبضرورة وجود نظام

لتسوية الصراعات والنزعات بالطرق السلمية، ذلك أن الحرب - على حد تعبير «إيراسموس» الهولندى - هى «انتحار جماعى، وضرب من ضروب الجنون». وسوف يلاحظ القارئ أن بعض الموضوعات المتداولة بيننا حتى اليوم لها أصول قديمة، ففكرة اليونسكو يرجعها المؤلف إلى المفكر الألمانى «ليبنتسى» الذى عاش فى القرن الثامن عشر، وفى نفس القرن كتب المفكر الإنجليزى «بنتام» عن خفض التسلح. وينتقل المؤلف بعد ذلك إلى الواقع لدراسة تجارب إقامة تنظيم دولى وصولاً إلى الأمم المتحدة.

وأود أن أتوقف أمام عبارتين وردتا فى الكتاب، الأولى: اقتباس من الفيلسوف الألمانى «كانت» يقول فيها: «إن السلام الدائم لا يبنيه إلا الشعوب، ولن يكون له دوام إلا إذا خضع لرقابتها، ولن تتمكن الشعوب من ممارسة حقها فى الرقابة إلا إذا كانت خاضعة للنظام الديمقراطى». والعبارة الثانية هى التى اختتم بها المؤلف كتابه والتى يعبر فيها عن أمله فى المستقبل وفى عقل الانسان فيقول: إن «هذا العقل لن يعجزه أن يفكر فى طريقة للخلاص من هذا الفتك الجماعى، لأن الإنسان بطبيعته لا يميل إلى الانتحار، ولا خلاص له من هذا الانتحار إلا بإقامة حكومة عالمية تحرس الأمن والسلام فى ظل القانون والعدل والمساواة»..

وبعـــد...

لقد عرفت المؤلف عام ١٩٦٢، ومن وقتها لم تنقطع صلتى به برغم اختلاف المواقع والظروف، تعلمت على يده طالبًا فى كلية الاقتصاد والعلوم السياسية فى مطلع الستينيات، وعملت معه معاونًا وباحثًا عقب تخرجى، وبتشجيعه ودعمه نشرت أول مقال علمى فى المجلة المصرية للقانون الدولى عام ١٩٦٤، وأول بحث لى فى مجلة السياسة الدولية عام ١٩٦٥، وطوال هذه السنين كان د. بطرس بطرس غالى نموذجًا للأستاذ

الجامعى، لذلك ظل قدوة لأجيال من الباحثين فى مجال العلوم السياسية، وجذوة نشاط متقدة تعكس التزامه العام، ومسئوليته تجاه مجتمعه، وطوال هذه السنين عكف على البحث والدراسة فى موضوعات اهتمامه وتخصصه، ثم جمع بين الفكر والممارسة عندما تقلد منصب وزير الدولة للشئون الخارجية لسنوات طويلة، وطوال هذه السنوات جاب بلاد العالم محاضرًا وخبيرًا ومسئولاً، وأضاف ذلك إلى خبرته الكثير.

انتخاب د. بطرس بطرس غالى إذن سكرتيرًا عامًّا للأمم المتحدة لم يأتِ من فراغ، ولم يكن مصادفة أو ضربة حظ، وإنما جاء تتويجًا لعمل وجهد ومثابرة لمدة أربعين عامًا متصلا.. وفى هذا درس وعظة...

فبراير ١٩٩٢.

علىّ الدين هلال
أستاذ ومدير مركز البحوث
والدراسات السياسية
كلية الاقتصاد - جامعة القاهرة

الحكومة العالمية

تمهيـــد

إن فكرة إقامة حكومة عالمية على أساس من الحرية والتعاون والعدل ترجع فيما يقول بعض المؤرخين إلى عهد فلاسفة اليونان الأسبقين، غير أن الأرجح أن الحركة الفكرية الداعية إلى إقامة حكومة عالمية ترجع إلى عهد ازدهار القوميات فى أوربا فى غضون القرن الرابع عشر. ففى ظل هذا الازدهار اشتد الصراع بين الدول الأوربية وتعرض الضعيف منها لفتك القوى، فكان ذلك داعيًا لأن يعمل رجال الفكر ودعاة الإصلاح للبحث عن وسيلة فى ظلها يسود الأمن والسلام، وعن طريقها تتخلص البشرية من الفتك والدمار.

وتمخض تفكيرهم فى هذا الشأن عن عدة مشروعات تدور حول فكرة إنشاء حكومة عالمية، أو منظمة دولية تبسط سلطانها على الحكومة، وبذلك تكفل للعالم السلام وتوفر له الطمأنينة.

والإشعاع الذى انبعث عن هذه الفكرة يتمثل فى ثلاث مدارس :

١ - **مدرسة أوربية** : تستند فى فكرة إقامة تلك الحكومة إلى القانون والمنطق، فهى بذلك صورة مكبرة للحكومات الوطنية فتكون ذات اختصاصات ذاتية، وسلطة تنفيذية تتمكن بها من أن تفرض على كل الدول قبول أحكامها، والرضوخ لها.

والدعاة إلى هذه الفكرة منذ أوائل القرن الرابع عشر كثيرون كان من .

أبرزهم : بيير ديبوا الفرنسى، وأليجرى دانتى الإيطالى، وديدييه إيراسموس الهولندى، وأمريك كروسويه الفرنسى، وسللى وزير الملك هنرى الرابع وليبنتز الألمانى، والقس سان بيير، والفيلسوف كانت وغيرهم.

٢ - مدرسة أنجلو سكسونية : ترى أن الحكومة العالمية يجب أن تتبلور فى جامعة أمم تعتمد على الأخلاق وقوة الرأى العام، وبذلك تختلف اختصاصاتها عن اختصاصات الحكومات الوطنية، فلا توضع فى يدها وسائل قمع أو قهر، وإنما تعتمد فى أداء رسالتها على التعاون الحر، وعلى قوة تأييد الرأى العام والضمير العالمى. وكل ذلك تستطيع أن تنشئه لنفسها بحسن تصرفها وتكتسب منه ذاتيتها، وقوتها المعنوية. ومن أشهر الدعاة إلى هذه الفكرة توماس مورس، ووليم بن، والفيكونت بنتام.

٣ - مدرسة إسلامية : تدور فكرة الحكومة العالمية فيها حول الصفات والأخلاق التى يجب أن تتوافر فى الرئيس الذى يشرف عليها، سواء أكان شخصًا واحدًا، أو كان مجموعة من الأشخاص. ومن أشهر الدعاة إليها أبو نصر الفارابى، وعبد الرحمن الكواكبى.